ففي هذه الآية أدب في مجلس الرسول A والآية التي بعدها تتعلق بالأدب في مناجاة الرسول A وأخر تلك عن آيات النجوى العامة إيذانا بفضلها دون النجوى التي تضمنتها الآيات السابقة فاتحاد الجنس في نجوى هو ومسوغ الانتقال من النوع الأول إلى النوع الثاني والإيماء إلى تميزها بالفضل هو الذي اقتضى الفصل بين النوعين بآية أدب المجلس النبوي .

وأيا قد كان للمنافقين نية مكر في قضية المجلس كما كان لهم نية مكر في النجوى وهذا مما أنشأ مناسبة الانتقال من الكلام على النجوى إلى ذكر التفسح في المجلس النبوي الشريف .

روي عن مقاتل أنه قال كان النبي A في الصفة وكان في المكان ضيق في يوم الجمعة فجاء ناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس قد سبقوا في المجلس فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يفسح لهم وكان النبي A يكرم أهل بدر فقال لمن حوله : هم يا فلان بعدد الواقفين من أهل بدر فشق ذلك على الذين أقيموا وغمز المنافقون وقالوا : ما أنصف هؤلاء وقد أحبوا القرب من نبييهم فسبقوا إلى مجلسه فانزل ا هذه الآية تطييبا لخاطر الذين أقيموا وتعليما للأمة بواجب رعي فضيلة أصحاب الفضيلة منها وواجب الاعتراف بمزينة أهل المزايا قال ا تعالى (ولا تتمنوا ما فضل ا بعضكم على بعض) وقال (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد ا بالحسنى) .

والخطاب ب (يا أيها الذين آمنوا) خطاب لجميع المؤمنين يعم من حضروا المجلس الذي وقعت فيه حادثة سبب النزول وغيرهم ممن عسى أن يحضر مجلس الرسول A .

وابتدئت الآية بالأمر بالتفسح لأن إقامة الذين أقيموا إنما كانت لطلب التفسيح فإناطة الحكم إيماء إلى علة الحكم .

والتفسح A E : التوسع وهو فعل من تفسح له جاء أو إذ مخففة السين بفتح له فسح مكان في فسحة وفسح المكان من باب كرم إذ صار فصيحا . ومادة التفعل هنا للتكلف أي يكلف أن يجعل فسحة في المكان وذلك بمضايقة من الجلاس .

وتعريف (المجلس) يجوز أن يكون تعريف المهد وهو مجلس النبي A أي إذ قال النبي A لكم ذلك لأن أمره لا يكون إلا لمراعاة حق راجح إلى غيره والمجلس مكان الجلوس . وكان مجلس النبي A بمسجده لأكثر أن يكون جلوسه المكان المسمى بالروضة وهو ما بين منبر النبي A وبيته .

ويجوز أن يكون تعريف (المجلس) تعريف الجنس . وقوله (يفسح الله لكم) مجزوم في جواب قوله (فافسحوا) وهو وعد بالجزاء على الامتثال لأمر التفسح من جنس الفعل إذ جعلت توسعة الله على الممتثل جزاء على امتثاله الذي هو إفساحه لغيره فضمير (لكم) عائد على الذين آمنوا باعتبار أن الذين يفسحون هم من جملة المؤمنين لأن الحكم مشاع بين جميع الأمة وإنما الجزاء للذين تعاق بهم الأمر تعلقا إلزاميا .

وحذف متعلق (يفسح الله لكم) ليعلم كل ما يتطلب الناس الإفساح فيه بحقيقته ومجازه في الدنيا والآخرة من مكان أو رزق أو جنة عرضها السماوات والأرض على حسب النيات وتقديره الجزاء موكول إلى إرادة الله تعالى .

وحذف فاعل القول لظهوره أي إذ قال لكم الرسول : تفسحوا فافسحوا فإن الله يثيبكم على ذلك